

تمهيد :

يعبر السرد الاجتماعي عن مرحلة من النضج التي بلغها السرد العربي القديم، حيث بدأت الكتابات السردية تتجه نحو معالجة القضايا الاجتماعية المستجدة في المجتمع العربي الإسلامي، وبدأت تضع يدها على بعض الأمراض الاجتماعية التي استشرت فيه، بأساليب مختلفة تميل إلى السخرية أحياناً ، وإلى الجد والصرامة أحياناً أخرى، فكانت المقامات بتأنقها اللغوي ونقدها اللاذع، وكانت أحاديث الجاحظ في كتابه *الخلاء*، أمثلة واضحة على اتجاه السرد العربي القديم إلى معالجة الظواهر الاجتماعية الفاسدة والدخيلة على المجتمع العربي الإسلامي، خاصة في العصر العباسي وهو العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية "حيث تمت فترة حكم العباسين من عام 132 هـ حتى 656 هـ ..

وهو عصر علم ومعرفة وحضارة وتطور، حيث ظهرت فيه مظاهر الترف وتحسين المعيشة لفئات واسعة⁶⁰ لقد شكلت هذه النقلة النوعية في حياة الناس بالمدنا الجديدة العاملة في ظل تفوت طبقي كبير، وفي ظل امتزاج بين كثير من الأعراق والثقافات، ميداناً خصباً لبروز قضايا اجتماعية جديدة لم يعهد لها المجتمع العربي من قبل، كالصراع الطبقي والشعوبية واللصوصية والاحتياط وكلها قضايا بدأت تتجلى في المجتمع الجديد.

⁶⁰ - أبو أحمد زقوق - ملامح الحياة الاجتماعية في العصر العباسي - تاريخ الدخول 24/02/2023 - Amrsal.com

" حيث أدى انتشار الرفاهية ومظاهر الترف إلى انتشار المجنون ومحالس الشرب، ومقابل ذلك ظهر المد الصوفي كردة فعل على انغماس الناس في الحلاذ الدنيوية، كما ظهرت الفروق الطبقية بين أفراد المجتمع وهذا ما أنتج صراعاً بين هذه الطبقات، كما ظهرت الأفكار الشعوبية المعادية للجنس العربي خاصة عند الفرس بعد دخولهم الإسلام"⁶¹ وكان لكل اتجاه أنصاره والمنافحين عنه والداعين إليه شعراً ونشراء.

1- مفهوم السرد الاجتماعي :

السرد الاجتماعي هو اتجاه الكتاب إلى تسخير النص السردي لمعالجة قضايا المجتمع، من خلال تسلیط الضوء على المظاهر الاجتماعية المستجدة بالنقد والتحليل، بأساليب تميل إلى تحكيم العقل والفطرة السليمة ومجموعة القيم المتعارف عليها سواء كانت قيم دينية أو فلسفية أو اجتماعية، والغاية منه إصلاح ما اعوج من أخلاق الناس وعاداتهم "حيث تحمل - النصوص عالمة المجتمع الذي تنشأ فيه وتعلق العناصر المكونة لها بالثقافة والعادات"⁶²

حيث يركز السرد على النماذج الاجتماعية محاولاً إيجاد المعادل الموضوعي لها لغة وسرداً. كون الأدب فن من الفنون الجميلة يعكس مظهاً من مظاهر الحياة الاجتماعية وسيطته في التعبير عن تلك القيم الكلمة المعبرة الموحية. وقد شاع في العصر العباسي مثل هذا السرد خاصة في كتابات الجاحظ مثل كتاب البخلاء، وكتابات الحريري، وبديع الزمان الهمданى في ما يعرف بفن المقامات.

2- عوامل ازدهار السرد الاجتماعي :

⁶¹-فاطمة علي . كتب عن الحياة الاجتماعية في العصر العباسي . - أكتوبر 2022 - Mqal.com

⁶²--م BROOK DRIDJI. المتخيل الاجتماعي في القصة الشعبية، النظام الاجتماعي والسرد. الثقافة الشعبية العدد 28 موقع . folkculturebh.org . تاريخ الدخول : 2022/2/21

1- ازدهار المجتمع العربي في العصر العباسي، واتساع رقعة الدولة وامتزاج لأعراق والثقافات مما نتج عنه دخول الكثير من العادات والتقاليد الجديدة والأفكار المختلفة المتصارعة، التي شكلت مناخا خصبا لنشأة السرد الاجتماعي الذي عبر عن هذه التحولات نقدا واستحسانا.

2- ظهور المدن الكبرى العامرة مثل مدينة بغداد والبصرة والكوفة وسامراء وببلاد الأندلس، وفيها من الثقافات والعادات الشيء الكثير من مخلفات الشعوب المشكّلة للمجتمع العربي الإسلامي، وفي حوار هذه الثقافات والعادات مجال رحب للكتابة السردية

3- ظهور الفلسفة وانتشار العلوم العقلية، وعلم الكلام⁶³ حيث كانت الرغبة عارمة في الدفاع عن الإسلام وإجاد طرق لتفسير القرآن وبيان السنة السبب الرئيسي لاعتناق الفلسفة وعلم الكلام

وقد احتضن السرد هذه الأفكار وعبر عنها من خلال تصوير اختلاف وجهات النظر بين الفئات الاجتماعية المختلفة، خاصة في مجال طلب الرزق والتوكيل والسعى والتماس الوسيلة ف ذلك مثل ما نجد في المقامات وأدب الشطار، وكتب الجاحظ مثل كتاب البخلاء.

4- تجلّى الفروقات الطبقية في المجتمع العباسي ونشأة الصراع بين هذه الطبقات رغبة في الرقي الاقتصادي والطبيقي. فكانت الطبقة الوسطى وطبقة الحكام وحاشيتهم وطبقة العمال والمهنيين.. ولكل منها اهتماماً بها وطرق عيشها وثقافتها الخاصة، وكل طبقة تدخل في صراع مع الطبقة التي فوقها بحثاً عن مكتسبات مادية ومعنوية، وهي مجال اهتمام الكتابة السردية بامتياز.

⁶³- فرج عبد الغني - علم الفلسفة في العصر العباسي - موقع: 12.mawdoo3.com - تاريخ النشر: 15/03/2022 - تاريخ الولوج: 2023/03/15

5- ظهور الشعوبية كنزعية معادية للجنس العربي وللثقافة العربية الإسلامية، وكانت بدايتها مع الفرس الذين دخلوا الإسلام لكن اعتزازهم بأصولهم الفارسية جعلهم يتآفون من العرب ويرون فيهم جنسا أقل رقيا من الفرس، لذلك هب مجموعة من الكتاب للدفاع عن الثقافة العربية ضد هذه الموجة وفي مقدمة هؤلاء الجاحظ.

3- جماليات السرد الاجتماعي وخصائصه :

يتميز السرد الاجتماعي في الأدب العربي القديم بجملة من الخصائص الفنية والموضوعاتية المضمنية.

- حيث يمكن القول أن مجموع النصوص التي تنتهي إلى هذا المجال، جاءت ضمن كتب مستقلة بذاتها وحملت عناوين معبرة عن محتواها مثل : كتاب البخلاء للجاحظ وهو كتاب عرض فيه صاحبه لخلق البخل عند أهل فارس وأهل مرو خاصة، إذ ينظرون إليه كفلسفة للإقتصاد وتدبر المعيشة وهو عندهم من الصفات المحمودة التي يجب التمسك بها وتعلم تقنياتها حتى لا يقع الإنسان في التبذير، فتدركه الفاقة والفقير وتدفعه دفعا إلى سؤال الناس

- النقد اللاذع للسلوك المستهجن من منظور الشريعة ومن منظور التقاليد العربية العريقة، حيث تصور شخصية الرجل البخيل في كتاب الجاحظ بطريقة منفرة، من حيث المظهر الخارجي ومن حيث المعتقدات الفاسدة ومن حيث التركيبة النفسية المضطربة القلقة والمتوترة على الدوام وكأن الجاحظ يعتبر صاحب هذا الخلق من المرضى النفسيين الذين يتطلب الأمر علاجهم مما هم فيه

- تعدد القصص وتوعتها في الكتاب الواحد، مع تعدد الحالات الاجتماعية المرصودة، حيث يوظف الجاحظ مثلاً: أبطاله من مختلف الشرائح نساء / رجال / أطفال / شيوخ / شبان / فقراء / أثرياء / أهل المدن / أهل البدو.. وتفرد لكل حالة منها قصة خاصة.

أما من الجانب الفني فإن السرد الاجتماعي يعتمد على:

- الحوار كمبدأ أساسي يقدم من خلاله الكاتب شخصياته وهي تعبر عن ذاتها وأفكارها وتدافع عنها، غالباً ما يدور الحوار بين البطل وبين النكرين عليه سلوكه، فتكون تلك فرصته لتقديم وجهة نظره السبب الذي يدفعه إلى هذا السلوك أو ذاك. وإن كانت بعض القصص تأتي على لسان السارد وهو الرواوي الذي يختاره صاحب الكتاب لتقديم القصة.

- الإسناد : وهو نسبة القصة إلى راوي وتأتي هذه الخاصية بصيغة حدثنا (فلان قال) مثل ما نجد في فن المقامات حيث يسند الحديث إلى : السروجي / أو أبو الفتح السكندرى / أو بن هشام / أو الحارث بن همام / وغيرهم.

- النهايات المفتوحة وغير المتوقعة:

- السخرية : المبنية على المفارقة وصور المزليّة والفكاهية للشخصيات

- التأق اللغوي والأسلوبي:

- الإكثار من المحسنات البديعية

- المزج بين الشعر والنشر